الفصل السادس

الفروق الفردية في الذكاء – مظاهره – أسبابه

الذكاء (Intelligence) مصطلح اختلف العلماء في وضع تعريف محدد له، وفي تفسيره، بالرغم من نشأته القديمة جداً. وقد تناوله الفلاسفة والمفكرون في ميادين مختلفة، وعلماء النفس، وحاول كل منهم وضع تعريف مناسب له. لذلك تعددت تعريفات الذكاء، وكما سيأتي.

– المفهوم الفلسفي للذكاء :

أشار بُيرت Burt إلى أن الذكاء يرجع إلى الكلمة اللاتينية (Intelligentia) والتي ابتكرها الفيلسوف الروماني شيشرون. لهذا فإن تناول النشاط العقلي لم يكن مقتصراً على علماء النفس، إنما تناوله الفلاسفة قبلهم، وكان منهجهم في ذلك هو منهج التأمل العقلي، أو الاستبطان، وهو منهج الذي اتبع في علم النفس قبل أن يصبح علماً تجريبياً. ويعتمد هذا المنهج، أي الاستبطاني، على ملاحظة الفيلسوف لنفسه أثناء قيامه بالتفكير، أو أي نشاط عقلي، ثم يدون نتائج ملاحظاته الذاتية بعد ذلك.

– المفهوم البايولوجي للذكاء:

أشار سبيرمانSpearman إلى أن الفضل في إدخال مصطلح الذكاء في علم النفس الحديث يرجع إلى هربرت سبنسر في أواخر القرن التاسع عشر. فقد حدد سبنسر الحياة بأنها التكيف المستمر للعلاقات الداخلية مع العلاقات الخارجية، ويتم التكيف لدى الحيوانات الدنيا بفضل الغرائز، أما لدى الإنسان فإنه يتحقق بواسطة الذكاء. وبهذا يرى سبنسر أن الوظيفة الرئيسية للذكاء هي تمكين الإنسان من التكيف الصحيح مع بيئته المعقدة والدائمة التغير. وقرر سبنسر متأثراً بنظرية التطور لدارون، بأنه خلال تطور المملكة الحيوانية، وأثناء نمو الطفل يحدث تمايز في القدرة المعرفية الأساسية، فتتحول إلى تنظيم هرمي من القدرات الأكثر تخصصاً : القدرات الحسية ، والإدراكية، والترابطية وغيرها شأنها شأن جذع الشجرة، الذي يتفرع إلى أغصان عديدة...